مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م24، ص ص: 163- 178 (1437هـ /2016م)
DOI:10.4197 / Art.23-5

الوظيفة التفاعلية للصمت

كمال سعد أبو المعاطي

جامعة الملك عبدالعزيز

مستخلص يتناول هذا البحث حديثا عن " الوظائف التفاعلية للصمت " ونقصد به الصمت الإيجابي الذي لا يقل أهمية عن الكلام، ومن ثم فهو ينطلق من المفهوم الواسع للغة كونها تعني كل وسيلة ممكنة تسهم في تحقيق التواصل والتفاهم بين البشر، لفظية كانت تلك الوسيلة أو غير لفظية . وبناء عليه فقد قسم لغة التواصل على قسمين :لغة لفظية، تستعمل فيها الألفاظ، ولغة غير لفظية ، تعتمد كل ما ليس لفظا وسيلة لتحقيق هذا التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة. وقد جعل الصمت أحد أنواع القسم الثاني، فعرف به لغة واصطلاحا، موضحا أهم الألفاظ التي استخدمت بمعناه ، ثم كشف عن دوره في تحقيق التواصل مبينا وظائفه التفاعلية ومؤكدا على أن الصمت قد يكون بديلا ناجحا في كثير من المواقف التي ربما عجزت اللغة اللفظية عن التعبير عنها، خاصة إذا كان مصحوبا ببعض ما يسمى " المصاحبات اللغوية " كالإشارة وتعبيرات الوجه وحركات الجسد ...إلخ. وقد اعتمد البحث في بيان ذلك على مجموعة من الشواهد اللغوية والمواقف المستنبطة من واقعنا الاجتماعي وتراثنا اللغوي العربي ،واستدل لها بأقوال العلماء قديما وحديثا،(موضحا التقارب بين ما انتهى إليه الفريقان)، وقد خلص إلى أن الصمت لا يعني في كثير من المواقف نهاية الحدث الاتصالي بين المتكلم والمخاطب ، بل ربما كان سببا ودافعا لاستمرار هذا التواصل.

الكلمات المفتاحية : مهارات الاتصال – الوظائف التفاعلية للصمت – لغة الجسد.

المقدمة

بات من المتفقِ عليه بين المحدثين[1] من علماء اللغة أنَّ:" اللغةَ بمعناها العام تعني كلَّ وسيلةٍ ممكنةٍ تحققُ التواصلَ والتفاهمَ بين البشر _ لفظيةً كانت تلك الوسيلةُ أو غيرَ لفظيةٍ _ فاللفظُ لغةٌ، وحركةُ اليدِ لغةٌ، والإيماءُ بالرأسِ لغةٌ، ونظرةُ العينِ لغةٌ، وحركةُ الحاجبين لغةٌ، والتعبيراتُ التي تظهرُ على صفحةِ الوجهِ من ابتسامٍ أو تقطيبٍ للجبينِ لغةٌ ..إلخ. وإجمالا يمكنُ القولُ: إنَّ "كلَّ إشارةٍ عُرفيةٍ

تؤدي معنى تخدمُ الغرضَ نفسَه الذي تسعى الألفاظُ إلى تحقيقه تعدُ لغةً "[2]

اللغة والاتصال

عُرِّفتْ اللغةُ في معجمِ مصطلحاتِ الأدبِ بعدةِ تعريفاتٍ اتفقتْ أو اختلفتْ وِفْقاً لتعدُدِ وجهةِ نظرِ مُعرِّفيها ونظرتِهم إلى طبيعتِها وطبيعةِ الدورِ الذي تؤديه في بيئتِها والوظيفةِ المنوطةِ بها . فقد عُرِّفتْ من حيثُ كونُها وسيلةَ اتصالٍ بأنها :" كلُ وسيلةٍ لتبادلِ المشاعرِ والأفكارِ كالإشاراتِ والأصواتِ والألفاظِ " وهي بذلك ضربان : لغةٌ طبيعيةٌ كبعضِ حركاتِ الجسمِ والأصواتِ المبهمةِ، و لغةٌ وضعيةٌ، وهي مجموعةُ رموزٍ أو إشاراتٍ أو ألفاظٍ متفقٍ عليها للتعبيرِ عن المشاعرِ والأفكارِ[3].

وبناءً على هذا قسّم العلماءُ اللغةَ على قسمين لكلٍّ منهما تأثيرُه في إحداثِ التواصلِ والتفاهمِ .

- الأول :اللغةُ اللفظية .وتُسْتعملُ فيها الألفاظُ وسيلةً لتحقيق التواصلِ .
- الثاني :اللغة غيرُ اللفظيةِ .وهذه تعتمدُ كلَّ ما ليس لفظا وسيلةً لتحقيقِ التواصلِ .

ترتب على ذلك وجودُ نوعين من التواصل :تواصلٌ لفظيٌّ ، وتواصلٌ غيرُ لفظيٍّ .

والسؤال : ما مفهومُ التواصلِ ؟ ومم يتكونُ الحدثُ الاتصالي ؟ وكيف يتم ؟

مفهومُ التواصلِ لغةً واصطلاحاً:

1- التـواصل لغـةً:

يدور معنى التواصلِ في اللغة العربية حول الاقترانِ والاتصالِ والصِّلةِ والترابطِ والالتئامِ والجمعِ والإبلاغِ والانتهاءِ والإعلام. وهو بذلك يتوافق دلاليا مع كلمة communication في اللغة الانجليزية التي تعني بناءَ علاقةٍ بين مُرسِلٍ ومُسْتقبِلٍ عبرَ وسيلةٍ تحقق التواصلَ والترابطَ وتبادلَ المعارفِ والمشاعرِ، والإخبار والإعلام.[4] و معني هذا أن هناك تشابها في الدلالةِ والمعنى بين مفهومِ التواصلِ في الفكرِ اللغويِّ العربيِّ والتواصلِ في الفكرِ اللغويِّ الغربيِّ.

2- التواصلُ اصطلاحا:

هو عمليةُ انتقالِ المعلوماتِ أو الأفكارِ أو الاتجاهاتِ أو العواطفِ و المشاعرِ بين الذوات والأفرادِ والجماعات .

خصائص التواصل الفعَّال:

"يُوصفُ التواصل بأنه فعّالٌ أو ناجحٌ حين يصلُ إلى ما يقصدُه المُرسِلُ إلى المُتلقي بالفعل دون لبس أو غموض "[5] ولكي يؤدي وظيفته على الوجه المطلوب لابد أن تتحقق فيه بعض الخصائص منها:

أولا :أن يؤدي واحدة أو أكثر من ثلاثَ وظائفَ مهمة يمكنُ إجمالُها في:

1- التبادلِ: Exchange
2- التبليغِ:Transferable
3- التأثيرِ: Impact

ثانيا :أن هذا التواصلَ قد يكونُ ذاتيا شخصيا أو تواصلا غيريا.

ثالثا:أنه قد ينبني على الموافقةِ أو على المعارضةِ والاختلافِ.

رابعا : يفترضُ التواصلُ أيضا – باعتباره نقلا وإعلاما– مُرْسِلا ورسالةً ومُستقبِلا وقناةَ اتصالٍ، وموقفا يتم فيه الاتصالُ سواءٌ أكان لغويا أم اجتماعيا ،ثم شفرةً أو كودًا يتفقُ عليه كلٌّ من المُرسِل والمُستقبِل ، ونعني به " مجموعةَ القواعدِ أو الأنظمةِ التي يتقاسمُها المشاركون في الحَدَثِ الاتصاليِّ ، وقد يكونُ هذا الكودُ لفظياً أو حركيا أو لمسيا أو بصريا أو موسيقيا ...إلخ ، وهذه هي أهمُ مكوناتِ الحدثِ الاتصاليِّ كما قدمها (جاكبسون 1953م) واستقرَ عليها جمهورُ العلماءِ، وهي ما سُمى _ فيما بعد_ بعلومِ الاتصالِ، وقد كان من بين هؤلاء العلماءِ لغويون وعلماءُ اجتماعٍ وعلماءُ انثروبولوجيا ...إلخ "[6].وقد عرَّف شارل كولي Charles Cooley التواصلَ قائلا:" التواصلُ هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقاتُ الإنسانيةُ وتتطورُ.[7]

فالتواصلُ إذن هو جوهرُ العلاقاتِ الإنسانيةِ، وهو محققُ التطورِ لهذه الحياةِ بشكلٍ عامٍ ؛ إذ يعملُ على تقويةِ هذه العلاقاتِ ،كما يعملُ على استمرارِ تفعيلها، معتمدا في ذلك على كِلا المستويين اللفظيِّ وغيرِ اللفظيِّ.

أنماط التواصل :

الحقُ أن النظرةَ المتأملةَ في حياتِنا وما يصحبُها من تفاعلٍ اجتماعيٍّ ورغبةِ الناسِ في تحقيقِ التواصلِ والتفاهمِ فيما بينهم وحرصِهم على أن يؤثرَ بعضُهم في بعضٍ (من خلالِ نقلِ المعلوماتِ والمعارفِ،وتبادلِ الأفكارِ و المشاعرِ وردودِ الأفعالِ المختلفةِ في المواقفِ المتعددةِ) ، لتؤكد على استعمالِ كِلا المستويين اللفظيِّ وغيرِ اللفظيِّ بشكلٍ إنْ لم يكنْ متساويا فهو على الأقلِ متكاملٌ .

وبالرغمِ من أنَّ اللغةَ اللفظيةَ هي الأصلُ في التواصلِ الإنساني، فإن اللغةَ غيْرَ اللفظيةِ لا تنفكُ "توفرُ للفردِ وقتا وجهدا في اتصالهِ الاجتماعي وذلك لبساطتِها وسهولتِها وعالميتِها _فكثيرٌ من الإيماءاتِ والإشاراتِ وحركاتِ الجسدِ وتعبيراتِ الوجهِ تكادُ تكونُ مشتركةً بين بني البشرِ كُلِهِم جميعاً على اختلافٍ في لغاتِهم اللفظيةِ وجنسياتهم _ لكنها لم تتطورْ مع الإنسانِ بالسرعةِ نفسِها التي تطورت بها اللغةُ اللفظيةُ؛ لأنها _ كما نعلمُ_لغةٌ ماديةٌ محسوسةٌ خاليةٌ من التجريدِ والتعميمِ ".[8]

وجديرٌ بالذكرِ ما أشارَ إليه علماؤنا القدامى من اعتبارِ الإشارةِ عنصرا مهماً في حديثِهم عن حدِ الكلامِ حين عرَّفوه بقولِهم :" هو ما تحصُلُ به الفائدةُ ،سواءٌ كان لفظا أو خطا أو إشارة أو ما نطق به لسانُ الحالِ [9]"

وأرى أن هذا التعريفَ يعْكِسُ ما جاء في ثقافتِنا العربيةِ وفِكرِنا اللغويِّ العربيِّ ، ويكشفُ عن إدراكِ

العربِ للجانبِ الاجتماعيِّ للغةِ، وأنها ليستْ لفظا فقط بل لفظا وإشارةً تحمل دلالةً ،وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى هذا في قوله تعالى"قال ربِّ اجعلْ لي آيةً قالَ آيتُك ألا تُكِّلمَ الناسَ ثلاثةَ أيامٍ إلا رمزا [10]"، قال أبو حيان: الرمزُ: الإشارةُ باليدِ أو بالرأسِ أو بغيرِهما، وأصلُه التحركُ، يُقال: ارتمزَ تحرّك ،ومنه قيل للبحرِ: الراموز، وفي قوله :(إلا رمزاً) دلالةٌ على أن الإشارةَ تتنزلُ منزلةَ الكلامِ ، وذلك موجودٌ في كثيرٍ من السُّنة، وهو قولُ عامةِ الفقهاءِ .كما أشار إلى أن من العلماءِ منْ أطلقَ الكلامَ في اللغةِ على الإشارةِ الدالةِ على ما في نفسِ المشيرِ.[11] و به قال الزمخشريُّ،وذلك قولُه: لما أدّى مؤدّي الكلامِ، وفُهِمَ منه ما يُفهمُ منه، سُميَّ كلاماً.

وقد ذكرَ الجاحظُ أن جميعَ أصنافِ الدلالاتِ على المعاني من لفظٍ وغيرِ لفظٍ خمسةُ أشياءَ لا تنقصُ ولا تزيدُ : أولُها اللفظُ ثم الإشارةُ ثم العقدُ ، ثم الخطُ ثم الحالُ التي تُسمى نُصْبةً، موضحا أن النُصبةَ هي الحالُ الدالةُ، كما أوضحَ أن الإشارةَ واللفظَ شريكانِ، " فنعمَ العونُ هي لهُ، ونعمَ التُرجِمانُ هي عنهُ ، وما أكثرَ ما تنوبُ عن اللفظِ ، وما تُغني عن الخطِ ...ولولا الإشارةُ لم يتفاهمْ الناسُ معنى خاصّ الخاصّ، ولَجهِلُوا هذا البابَ البتة [12]".

خصائص الاتصال غير اللفظي :

ولعلّ من أهمِ خصائصِ الاتصالِ غيرِ اللفظيِّ – كما تقولُ سامية جابر– أنه لا يمكنُ تحاشيه أو الهروبُ منه، فعندما يتوقفُ المرءُ عن الكلامِ لا ينقطعُ الاتصالُ؛ ذلك أن عَلاقَاتِنا الاجتماعيةَ لا تعتمدُ على اللغةِ اللفظيةِ وحدَها، بل تستمدُ مقوماتِها كذلك مما نلاحظُه على وجوهِ الناسِ من تعبيراتٍ مختلفةٍ تُفْصِحُ عن أحوالهِم العاطفيِّةِ، وكذا ما ندركُه من إشاراتِ اليدينِ وإيماءِ الرأسِ ...إلخ ،وقد تجتمعُ هذه الأمورُ جميعا حين يُخاطِبُ الناسُ بعضَهم بعضاً، وقد ذكرتْ سامية جابر أنَّ من مزايا الاتصالِ غيرِ اللفظيِّ :

أنه يُعبرُ عن معلوماتٍ وجدانيةٍ في مقابلِ الاتصالِ اللفظيِّ الذي يعبرُ عن معلوماتٍ تتصلُ بالمضمونِ، إذ هو قادرٌ على إيصالِ: الحبِّ والكرهِ والاهتمامِ والثّقةِ والدّهشةِ والرضا[13] ..إلخ.

ومن هنا يأتي حديثُنا عن الصمتِ الذي يمثلُ واحدا من أهمِ وسائلِ التواصلِ غيرِ اللفظيِّ.

الصمتُ: لغةً :

صَمَتَ يصمُتُ صَمْتاً وصُمْتاً الأول بفتح فسكون متفق عليه، والثاني بضم فسكون. ونقول: صمَتَ يَصمُت، صَمْتًا وصُمُوتًا وصُماتًا، فهو صامِت. صَمَتَ الرجلُ: سَكَتَ وَلَمْ ينطقْ ,وخرَج عن صمته: تكلَّم، ونطقَ .

قال تعالى:" سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ[14]" .

وأَصْمَتَ: أَطالَ السكوتَ. والتَّصْميتُ: التَّسْكِيت ،والتَّصْميتُ أَيضاً: السكوتُ، ورجل صِمِّيتٌ أَي سِكِّيتٌ.[15]

- ومن الكلمات الدالة على "صمْت "(اسم) في اللغة العربية : إغْضاء , إطْرَاق , سُكُوت , سُكُون, وُجُوم .
- ومن الكلمات الدالة على "صَمَت "(فعل): بَكَمَ , بَكِمَ , تَكَثَّمَ , خَرِسَ , سَكَتَ , كَظَمَ , وَجَمَ , وَجِمَ.

ولاشك في أن الصمت يختلف في دلالته واستعماله عن بعض هذه المفردات إذ يعني في عمومه "عدم التحدث "أما الإغضاء وهو حركة الطرف فهو فعل جسدي لعضو من أعضاء الجسم، جاء في الصحاح :الإغضاء :إدناء الجفون، وفي لسان العرب:غَضَوْتُ على الشيء وعلى القذى، وأغضيت : سكتُ. وكذلك الإطراق الذي يعد تعبيرا جسديا يؤدى بحركة من الرأس تكون بها على هيئة معينة ومعروفة، وهو يعني انصرافا عن الفعل الكلامي إلى فعل غير كلامي، كما يُعد الوُجُوم وهو السكوت على غيظ والإمساك عن الكلام لسبب الحزن صورة من صور التعبير الجسدي يؤدى بالوجه، ولا يجمع هذه المفردات بالصمت إلا ما يصاحبها من السكوت وعدم الكلام .

الصمت الناطق التفاعلي:

بداية دَعُونا نتفقُ على أنَّ الصمتَ وإنْ كان عدماً بيدَ أنه ليس مُظْلِماً فهو_ على رغم سلبيتِه– إيجابٌ له وظائفُ ودلالاتٌ، فصمتُنا شيء آخر غيرُ العيّ والحبُسةِ، والخَرسِ والحظْلِ، وهي جميعاً أسماءٌ لدرجاتٍ وأنواعٍ من الصمتِ السلبيِّ، يهتمُ بها الأطباءُ و علماءُ النفسِ. قال : ابن الجلاح :[16]

والصَّمتُ أَجملُ بالفتى مالم يكن عِيٌّ يَشينُه.

وقال مخرز بن علقمة :

صموتاً في المجالس غيرَ عِيٍّ جديراً حين ينطقُ بالصَّوابِ.[17]

فصمتُ العيِّ شكلٌ من أشكالِ العجزِ والمرضِ يصيبُ الإنسانَ فيجعلُه غيَر قادرٍ على الكلامِ والإفصاحِ.

أما الصمتُ الإيجابيُّ الذي نقصدُه فهو "صمْتٌ ناطقٌ " يحملُ وظيفةً تفاعليةً ،ولا ينتهي به الحدثُ الاتصاليّ ؛ بل ربما حملَ في طياتِه رسائلَ غيرَ لفظيةٍ تفوقُ أحيانا في قوتِها أبلغَ الكلماتِ. ولذا فهو فنٌ لا يدركُه إلا البلغاءُ والحكماءُ.روى أنسُ بن مالك عن النبي _ صلى الله عليه وسلم _أنه قال:" الصمتُ حكمةٌ وقليلٌ فاعلُه"[18] .

وقال أبو العتاهية[19]:

إذا كنتَ عنْ أنْ تُحْسنَ الصَّمتَ عاجزاً
فأنتَ عن الإبلاغِ في القولِ أعجزُ
يخوضُ أناسٌ في المقالِ ليُوجزوا
ولَلصمتُ عن بعضِ المقالاتِ أوجزُ.

الصمت التفاعلي في القرآن الكريم :

أشار القرآنُ الكريمُ إلى هذا الجانبِ الإيجابيِّ للصمتِ وكشفَ عن جانبِه التفاعليِّ في قولِهِ تعالى:" فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ

الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا"[20].

قال ابن كثير: قَوْله " فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنْ الْبَشَر أَحَدًا " أَيْ مَهْمَا رَأَيْت مِنْ أَحَد " فَقُولِي: إِنِّي نَذَرْت لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّم الْيَوْم إِنْسِيًّا ...قَالَ أَنَسُ بْن مَالِك فِي قَوْله "إِنِّي نَذَرْت لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا " قَالَ صَمْتًا، وَكَذَا قَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَفِي رِوَايَة عَنْ أَنَس: صَوْمًا وَصَمْتًا، وَكَذَا قَالَ قَتَادَة وَغَيْرُهمَا، وَالْمُرَاد أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا صَامُوا فِي شَرِيعَتهمْ يَحْرُم عَلَيْهِمْ الطَّعَامُ وَالْكَلَامُ ،نَصَّ عَلَى ذَلِكَ السُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَن بْن زَيْد. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْن زَيْد لَمَّا قَالَ عِيسَى لِمَرْيَم " لَا تَحْزَنِي" قَالَتْ :وَكَيْف لَا أَحْزَنُ وَأَنْتَ مَعِي لَا ذَاتُ زَوْجٍ وَلَا مَمْلُوكَةٌ ؟! أَيُّ شَيْء عُذْرِي عِنْد النَّاس ؟! يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْل هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا .قَالَ لَهَا عِيسَى: أَنَا أَكْفِيك الْكَلَامَ " فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنْ الْبَشَر أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْت لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّم الْيَوْم إِنْسِيًّا " قَالَ هَذَا كُلُّه مِنْ كَلَامِ عِيسَى لِأُمِّهِ وَكَذَا قَالَ وَهْب [21].

الصمت التفاعلي في الحديث النبوي :

إن تتبعَ الأحاديثِ النبويةِ يكشفُ لنا عنْ عددٍ غيرِ قليلٍ من المواقفِ التي تم فيها توظيفُ الصمتِ والاستفادةُ من دلالتِه مما يؤكدُ وظيفتة التفاعليةِ، ويزيدُ من قناعتِنا بأنه وسيلةٌ فاعلةٌ في بناءِ الحدثِ الاتصاليِّ وتواصلِه ليحققَ واحدةً منْ وظائفِ اللغةِ أو أكثرَ ،فمن ذلك مثلا ما روي :

- عن أنسِ بن مالك ،أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان إذا خُطِبَ بعضُ بناتِه جلس إلى الخِدرِ فقال :إنَّ فلانًا يخطُبُ فلانةً ،فإنْ هِيَ سكتتْ كان سكوتُها رضاها وإنْ هِيَ كَرِهَتْ طَعَنَتْ في الحجَابِ فكانَ ذَلِكَ مِنْهَا كَرَاهِيَةً[22].

- وعن عبدِ اللهِ بن عباس أنه قال: قال _رسول الله صلى الله عليه وسلم _ :"الأيِّمُ أولَى بنَفسِها مِن وليِّها ,والبِكرُ تُسْتَأمرُ في نفسِها قيلَ يا رسولَ اللَّهِ إنَّ البِكرَ تستحيي أن تتكلَّمَ قالَ :إذنُها سُكوتُها[23].

- وعن أُبيِّ بن كعب أنه جاء إلى النبيِّ_ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم _فقال يا رسولَ اللهِ عمِلْتُ الليلةَ عمَلًا، قال ما هو؟! قال نسوةٌ معِي في الدارِ قلْنَ إنَّكَ تقْرَأُ ولا نَقْرَأُ فصلِّ بِنَا فصَلَّيْتُ ثمانيًا والوِتْرَ. قال :فَسَكَتَ _رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم _قال: فرأَيْنَا أَنَّ سكوتَهُ رِضًا."[24]

- وجاء العباسُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو مُغْضَبٌ ، فقال : ما شأنُكَ ؟ فقال : يا رسولَ اللهِ ، إنا لَنخرجُ فنرى قريشًا تتحدثُ ، فإذا رَأَوْنا سكتوا ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم : والذي نفسي بيدِه ، لا يدخلُ قلبَ امرئٍ الإيمانُ حتى يُحِبَّكم للهِ ولِقَرابتي"[25] .

- وقال يزيد بن شريك:كنا عند حذيفةَ . فقال رجلٌ: لو أدركتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قاتلتُ معَه وأبليتُ . فقال حذيفةُ : أنت كنتَ

تفعلُ ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليلةَ الأحزابِ . وأخذتنا ريحٌ شديدةٌ وقرٌّ .فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :ألا رجلٌ يأتيني بخبرِ القومِ ، جعلَه اللهُ معي يومَ القيامةِ ؟ فسكتنا . فلم يُجبْه منا أحدٌ . ثم قال: ألا برجلٍ يأتينا بخبرِ القومِ ، جعلَه اللهُ معي يومَ القيامةِ ؟ فسكتنا .فلم يُجبْه منا أحدٌ . ثم قال : ألا برجلٍ يأتينا بخبرِ القومِ ، جعلَه اللهُ معي يومَ القيامةِ ؟ فسكتنا . فلم يُجبْه منا أحدٌ . فقال : قم. يا حذيفةُ ! فأْتِنَا بخبرِ القومِ ، فلم أجد بُدًّا ، إذ دعاني باسمي ، أن أقومَ . قال: اذهب، فأْتني بخبرِ القومِ . ولا تُذعرهم عليَّ ...[26].

وهكذا، قد يلجأُ الناسُ إلى الصمتِ يتحصنون به في بعضِ المواقفِ؛ خوفا من سحرِ اللغةِ الملفوظةِ وقدرتِها على الكشفِ والفضحِ ،أو ربما لعجزِ تلك اللغةِ أو عجزِ مستخدميها عن التعبيرِ الصحيحِ عن الموقفِ.قال الشاعر [27]:

ما كُلُّ نُطقٍ له جوابُ جواب ما يُكرهُ الصُّموتُ.

الصمت التفاعلي في الشعر العربي :

وقد تنبه كثيرٌ من الشعراءِ إلى الوظيفةِ التفاعليةِ للصمتِ، وأنَّه قد يُغني عن الكلامِ في مواقفَ كثيرةٍ ،بل ربما فاقَ الكلامَ في التعبيرِ عنْ بعضِ المواقفِ ،قال أبو جعفر القرشي:

واجعل الصَّمْتَ إنْ عَيِيتَ جوابا رُبَّ قولٍ جوابُه في السكوتِ.[28]

وقال المتنبي:

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ
سكوتي بيانٌ عندَها وخطابُ.[29]

وقال آخر :

حظِّي يقْصُرُ بي عن كل مَكْرُمةٍ
ولا تقصر عن نيلها هِممي.
سألزمُ الصمتَ ما دام الزمانُ كذا
وأمْنع الدهرَ من نطق اللسانِ فمي[30]

وقال آخر :

أوليْتُه مِنْي السكوتَ وربما
كان السكوتُ عن الجوابِ جوابا[31].

الصمتُ إذن قد يكونُ لغةً بديلةً تشي بحاجاتِ النفوس ومطامعِها، وتعبرُ عن مواقفَ و أحاسيسَ قد تعجزُ اللغةُ اللفظيةُ عن إبلاغِها أو الوفاءِ بها.

وقد فضَّل بعضُ المنظرين للعشق النُّصْبَةَ _وهي الحالُ الدالةُ من دونِ لفظٍ _على البيانِ باللفظِ ؛"وأطلقوا عليها(المصاحباتُ اللغويةُ) أو (شقائقُ اللغةِ) وهي تمثل جانبا مهماً من جوانبِ التواصلِ بين الناسِ،وهي أيضا قسيمٌ جيدٌ للغةِ لا يجوزُ إغفالُه، بل إنها تعدُ عند بعضِ الجماعاتِ والأفرادِ،_وفي ظروفٍ معينةٍ_ الوسيلةَ الوحيدةَ للتواصلِ. [32]"

قالت ليلى العامرية ، صاحبةُ قيسِ بن الملوح [33]:

كِلانا مظهِّر للناسِ بُغضاً وكلٌّ عندَ صاحبِه مَكينُ
تبلغنا العيونُ بما أردنا وفي القلبين ثمَّ هوىً دفينُ
وأسرارُ الملاحظِ ليس تخفى إذا نطقتْ بما تُخفي العيونُ

وقال آخر [34]:

ولما التقينا والدموعُ سواجمٌ خَرَسْتُ، وطرْفى عن هوايَ يُترجِمُ
إشارتُنا فى الحبِّ غمزُ عيونِنا وكلُّ لبيبٍ بالإشارةِ يفهمُ
حواجبُنا تقضي الحوائجَ بيننا ونحنُ سكوتٌ والهوى يتكلمُ .

وقد يَصْمُتُ الأصدقاءُ والمحبون عندما يلتقون فلا يجدون ما يقولُونَه ويكتفون بالصمتِ الذي يعكسُ أعمقَ المشاعرِ الإنسانيةِ وأصدقَها، وربما كان الصمتُ محفزا لهم لمزيدٍ من التواصلِ عبرَ وسائلِ اللغةِ الأخرى لفظيةً كانت أو غيرَ لفظيةٍ .قال الشاعر جورج جرداق[35] .

سهرُ الشوقِ في العيونِ الجميلةِ حلمٌ آثر الهوى أنْ يُطيلَه

وحديثٌ في الحبِّ إن لم نقلْه أوشك الصمتُ حولنا أن يقولَه.

الصمت التفاعلي وحياتنا الاجتماعية :

ومن أبرزِ مظاهرِ توظيفِ الصمتِ في حياتِنا الاجتماعيةِ ما أشارَ إليه بعضُ اللغويين من مواقفَ منها:

صمتُ الشهودِ في أثناء التحقيقِ القضائي، و صمتُ الكلامِ في الفصلِ، و صمتُ الأستاذِ للسيطرةِ على الطُّلابِ، وصمتُ الطلابِ لإعلان غضبِهم أو تمردِهم .وقد رأينا كيف أن الصمتَ يمكنُ أنَّ يوظفَ في كثيرٍ من المجتمعاتِ للتخلُّصِ من بعضِ المواقفِ المحرجةِ أو لدفعِ الضررِ عنها[36]

كما أشار أحدُ علماءِ الاجتماعِ إلى وظائفَ أخرى منها :

الصمتُ المعبرُ عن الوقارِ أو التبجيلِ أو التأملِ، وصمتُ الملِ الذي يعبرُ عن الانسحابِ من موقفٍ أو عن تقييمٍ سلبيٍّ لما يجري، وصمتُ الأصدقاءِ والمحبين عندما يلتقون فلا يجدون ما يقولونه ويكتفون بالصمتِ، والصمتُ عند الغضبِ أو الإحباطِ أو الحزنِ[37] .

وقد يوظفُ الصمتُ بطرقٍ مختلفةٍ في التفاوضِ الاجتماعيِّ والسياسيِّ، فهناك من يتخذه حجابا وستارا يتوارى خلفه حتى لا يكشفُ أحدٌ نقاطَ ضعفِه، وهناك من يمارسه بوعي وحكمة تكشف عن فهمٍ عميقٍ لموقفٍ الآخرِ ويغتنمها فرصة لدراسةِ موقفهِ ، أو للتفكير فيما يودُّ أن يطرحَه من أفكارٍ ، وقد يكونُ صمتا متكلفا يحملق صاحبه بعينيه في فضاء المكان أو سقف القاعة ، وقد يهز رأسه في إعجاب مصطنع يتركُ لدى الآخرين انطباعا سلبيا ، لذا يجبُ على المفاوضِ أن يكونَ صمتُه وإنصاته فعالا واعيا يخدمُ العمليةَ التفاوضيةَ .[38]

الصمتُ إذن كلامٌ أو هو كالكلامِ ، إذ يقومُ ببعضِ وظائفِه ، وقد يخضعُ مثلُه لقواعدَ يحددُها العرفُ في كلِّ مجتمعٍ .

وقد أثبت حسن وجيه في حديثه عن وظائف الصمت في الحوار والتفاوض أن للصمت في سياق الثقافات المختلفة، _ وحتى في إطار الثقافة الواحدة _ وظائف وميكانيزمات حوارية بالغة التعقيد، تجعل من القول بأن للصمت لغات مختلفة ، وقد نقل عن جوفمان أن الصمت في بعض الثقافات يحمل دلالات قد تختلف عن بعضها الآخر كما هي

الحال في ثقافة " أجيبوالهندية "التي يعني صمت الفتاة _في حالة تقدم عريس للزواج منها_ الرفض ، على عكس ما هو موجود لدى قطاعات عريضة من ثقافتنا العربية .[39]

..ومن الأمثلة الطريفة التي تؤكد هذه الحقيقة أن أحد الطيارين المصريين كاد يفقد حياته وحياة ركاب طائرته بسبب عدم إدراكه لطبيعة وتعقيدات وظيفة الصمت في لغة الحوار عبر الأثير ..فقد طلب هذا الطيار الإذن بالهبوط في مطار قبرص، ولكنه لم يتلق الرد من برج المراقبة بالمطار القبرصي ، وساد الصمت في هذا الحوار، وهنا تصور الطيار المصري أن الصمت يعني الموافقة على الهبوط، وإذا به يُفاجأ بالطائرات القبرصية تحيط بطائرته وتطلق النيران التحذيرية، وعندما تم استجواب الطيار فيما بعد تيقن أن الصمت القبرصي مختلف ، فلم يكن علامة على الرضا والقبول .[40] .

الصمت التفاعلي وعلم اللغة الاجتماعي :

يتبين لنا _ مما سبق _أن الصمت قد حظي بنصيب من العناية في تراثنا الأدبي وفكرنا اللغوي العربي ، وأنه جاء ليدل على ما يناقض النطق أو الكلام كما أنه شغل حيزا من اهتمام اللغويين والبلاغيين العرب وأنهم قد تنبهوا إلى شيء من دلالته البلاغية و دعوا إليه مُعتبرين إياه أحد صنوف البلاغة وذلك قولهم :" البلاغةُ اسم جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة ،منها ما يكون في السّكوت ومنها ما يكون في الاستماع..."[41] كما تعرّض الجاحظ لمعنى الصّمت عند حديثه عن النِّصبة .فاعتبرها "الحالَ النّاطقةَ بغير اللفظ والمشيرةَ بغير اليد فالصّامت ناطقٌ من جهة الدّلالة، ومتى دلّ الشيءُ على معنًى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا..."وذهب الجرجاني في باب الحذف إلى أنّ " تركَ الذّكر أفصحُ من الذّكر والصمتَ عن الإفادة أزيدُ للإفادة، وتَجدُكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبنْ. [42]" .

ومع كثرة هذه الإشارات التي نراها مبثوثة في كتب التراث اللغوي والأدبي لدى علمائنا المتقدمين، والتي تمثل _في رأينا _بذورا أو جذورا لعلم اللغة الاجتماعي في فكرنا اللغوي _ إلا أن القائلين بها لم يعوا الأبعادَ الحقيقية للصمت ودوره التفاعلي في التواصل و إثراء الحدث الكلامي ، بل ظل عندهم مجرد دليل على السكوت وانتهاء الكلام فحسب . وفي السنواتِ الأخيرةِ اهتم بعض الباحثين بدراسة " الصمت "كظاهرةٍ من ظواهرِ التفاعلِ الاجتماعيِّ ، إذ تبينَ لهم أنَّ له وظائفَ حواريةً بالغةَ التعقيدِ عبْرَ الثقافاتِ وفي نطاقِ الثقافةِ الواحدةِ [43].كما أبدى علماء الأنثروبولوجيا عناية كبيرة بمختلف جوانبه ، فدرسوا أنماط الكلام والصمت، وكيف تختلف باختلاف الثقافات "[44]

وقد زاد هذا الاهتمام مع تعاظم دور علم اللغة الاجتماعي الذى ذهب إلى أنه لا يمكن بحال اختزال اللغة في مجرد وصفها الشكلي الثابت و أنه لا يمكن فهمها فهما حقيقيا تاما إلا في سياق

السلوك الاجتماعي للجماعة اللغوية ،ولذا فقد جعل من أولوياته: البحث عن الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة "[45] وكان من أهم تطبيقات هذه الفكرة أن التركيب الاجتماعي يؤثر في شكل التركيب اللغوي، وأن هناك طرائق خاصة للتكلم واختيار الموضوعات والكلمات والتراكيب تحددها متطلبات اجتماعية معينة "[46].

ولا ريب في أن هذا الضرب من الدراسة اللغوية يعود إلى تطور اللسانيات : منهجا وميدانا، وذلك حين انتقلت من "دراسة الجملة كمنجز بالإمكان إلى دراسة العبارة كمنجز بالفعل، وحين انتقلت من دائرة التركيب في النحو إلى دائرة التركيب في بناء النص، وحين اتسعت في ميادينها فغطت ما كان يعد من خصوصيات غيرها ولامست العلوم الاجتماعية والفلسفية وعلم النفس والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا "[47]

وإن هذا الضرب من الدراسات– وفقا لفرنسوا آرمينجو – ينظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة استدلالية وإيصالية واجتماعية في الوقت نفسه [48]" فاللغة أداة نقل الأفكار بين المتكلمين تحقيقا للشرط الاجتماعي الإنساني، وهو ما يسمى عند علماء اللغة الإيصال، ويمثل الإيصال فيها وظيفة اللغة .[49]"

بيد أن هذا الإيصال لا يتم عن طريق اللغة المنطوقة فحسب ،وإن كانت هي الوسيلة المثلى لتحقيقه، ولكنه يتم بوسائل أخرى غير لفظية، حمّلها الإنسان دلالات خاصة، وأكسبها قدرة على المساهمة في تحقيق التواصل، بل ربما اعتمد عليها وحدها في بعض المواقف كتعبيرات الوجه والصمت التفاعلي .

وهكذا نستطيعُ القولَ: إنّ علمَ اللغةِ الاجتماعيِّ قد أدركَ أهميةَ "الصمتِ "وعرَّفه تعريفاً كشفَ عن جانبهِ الاجتماعيِّ ودورِه في بناءِ الحدثِ الاتصاليِّ، فردَّ إليه الاعتبارَ بعد ما صادفَ من إهمالٍ في علمِ اللغةِ البنويِّ الذي عرَّفه تعريفا سلبيا بأنَّه " غيابُ الكلامِ"وحَصَره في كونه علامةً مميزةً لبدايةِ الكلامِ أو نهايتِه .

وأخيرا فإننا نؤكدُ على أنَّ علاقاتِنا الاجتماعيةَ لا تعتمدُ على اللغةِ اللفظيةِ وحدَها وأنَّ الاتصالَ غيرَ اللفظيِّ مجالٌ رحبٌ يحملُ من الرسائلِ ما يحفلُ بالعديدِ من الدلالاتِ الثريةِ ذاتِ المغزى, وأنه ليس بوسعنا فهمُ الاتصالِ الإنسانيِّ وممارستُه على نحوٍ فعالٍ ومؤثرٍ من دونِ النفاذِ إلى عمقِ هذا العالمِ واكتسابِ مهاراتِه. وقد عَرفتْ كلُّ الثقافاتِ والحضاراتِ هذا النوعَ من الاتصالِ, وجسّدتْهُ في تراثِها وأدبِها وثقافتِها الشعبيةِ.

ولم تكنْ ثقافتُنا العربيةُ بمنأى من هذا ، فقد جاءتْ محملةً بمخزونٍ كبيرٍ من شواهدِ هذا الاتصالِ غيرِ اللفظيِّ، كما أشارَ بعضُ علمائِنا في إشاراتٍ كاشفةٍ إلى بعضِ أسرارِ هذا النوعِ من أنواعِ التواصلِ ، وما جاء في هذه الورقةِ ما هو إلا غيضٌ من فيضٍ مما تنبه له علماؤنا الأقدمون وكشفَ عنه بعضُ المحدثين .

وكما رأينا فإن الصمتَ في موضعِه ربما كان أنفعُ من الإبلاغِ بالمنطقِ في موضعِه، وعند إصابةِ فرصتِه. وذاك صمتُك عند منْ يعلمُ أنَّك لم تصمُتْ عنه عِيًّا ولا رهبةً.[50] قال النوويُّ: وروينا عن الأستاذِ أبي القاسم القُشيريِّ _رحمه الله _قال: الصمتُ في سلامةٍ هو الأصلُ، والسكوتُ في وقتِه صفةُ الرجالِ، كما أنَّ النطقَ في موضعِه من أشرفِ الخصالِ.[51]

الهوامش

[1] – الراوي: أنس بن مالك ،المحدث: ابن عدي ، الكامل في الضعفاء : 288/6

[2] علم اللغة الاجتماعي ، محمد حسن عبد العزيز ، 113،مكتبة الآداب، ط1، القاهرة 2009م

[3] علم الاجتماع اللغوي ،السيد علي شتا ،45 مركز الأسكندرية للكتاب ،199وانظر :معجم مصطلحات اللغة والأدب، مجدي وهبة ، 278.

[4] – لسان العرب ، مادة : و. ص. ل . وانظر: سيميائيات التواصل اللفظي وغير اللفظي، جميل حمداوي ،موقع مجلة طنجة الأدبية http://ar.aladabia.net/article-4777-صفحة مقالات ودراسات .

[5] –علم اللغة الاجتماعي، محمد حسن عبدالعزيز،92

[6] –انظر : المرجع السابق ،92

[7] – سيميائيات التواصل اللفظي وغير اللفظي، جميل حمداوي، http://ar.aladabia.net/article-4777

[8] – علم اللغة الاجتماعي 113

[9] –شرح شذور الذهب، لابن هشام ،28–29 ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد، ط8 ، مصر.

[10] – سورة آل عمران، آية 41

[11] – البحر المحيط ، لأبي حيان ، 472/2 ومابعدها .وانظر : الكشاف، للزمخشري 360/1

[12] – البيان والتبيين،78/1

[13] علم اجتماع الاتصال، سامية جابر ، ص 121، 122، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية 2001م وانظر:علم اللغة الاجتماعي ،محمد حسن 115 ،116

[14] –سورة الأعراف ، من آية 193

[15] – انظر ، لسان العرب لابن منظور ، مادة :ص. م. ت.

[16] – هو أحيحة بن الجلاح ، شاعر جاهلي ، انظر : البيان والتبيين للجاحظ ، 29/1

[17] –انظر : البيان والتبيين 29/1

[18] – الراوي: أنس بن مالك ، الكامل في الضعفاء : 288/6

[19] – ديوانه ،40

[20] – سورة مريم الآية 26

[21] – تفسير ابن كثير ، تحقيق :سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2، 1999م.

[22] – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي ، تحقيق :عبد الله الدرويش 510/4 حديث 7463.

[23] سنن ابن ماجة ، الحافظ محمد بن يزيد بن ماجة القزويني 203الحديث رقم 1870، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع _ عمّان

[24] – مسند الإمام أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط2، الجزء 26/35 بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1420هـ – 1999م ، رقم الحديث : 21098 والحديث من زوائد عبدالله بن الإمام أحمد على المسند ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 2 /222، رقم الحديث 2386 وقال الهيثمي : رواه عبدالله بن أحمد وفي إسناده من لم يسم .

[25] – مسند الإمام أحمد ج298/3 / رقم : 1777 ، وفي موضع آخر ج29/ 56 رقم : 17515
وأخرجه : البحر الزخار المعروف بمسند البزار، الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر البزار ، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله ، ط1 ، الجزء 131/6، رقم 2175، : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة 1415هـ – 1994م.

[26] – صحيح مسلم 1414/3 ، الراوي :يزيد بن شريك، حديث رقم: 1788كتاب الجهاد والسير ،باب غزوة الأحزاب.

[27] –هو محمد بن أبي العتاهية ، وكنيته أبو عبد الله ،انظر : تاريخ بغداد وذيوله ،للخطيب البغدادي 34/2 دراسة وتحقيق :مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت 1417هـ.

[28] – انظر : الصمت وآداب اللسان ، لابن أبى الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد ، تحقيق:أبو إسحاق الحويني ص 300 ط1، 1410هـ.، والظرف والظرفاء للوشاء ص7.

[29] – شرح ديوان المتنبي ص187 ، لعبد الرحمن البرقوقي – طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة 2014م

[30] – انظر : حسن السمت في الصمت ، لجلال الدين السيوطي ص 118.

[31] – هو علي بن عبد الله المعروف بالناشيء،انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان ، أحمد بن محمد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت .

[32] – اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، هادي نهر 144، دروب للنشر والتوزيع ،عمان ، ط1، 2011م.

[33] – أخبار النساء ونوادرهن في كتاب الأغاني ،إبراهيم شمس،126‘ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2005م.

[34] – معجم لآليء الشعر ،إميل يعقوب ،356.

[35] –انظر : فن الكلام ، مدخل إلى الاتصال العام ، أحمد بن راشد سعيد ، ص77،دار جبل الشيخ 1998م.

[36] – علم اللغة الاجتماعي ، محمد حسن117

[37] – علم اجتماع الاتصال والإعلام ، سامية جابر،118–119

[38] – مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي،حسن وجيه ،169.

[39] – مقدمة في علم التفاوض 170، 171

[40] – السابق 169، 170

[41] – كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري،ص14

[42] – دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ص 146، تحقيق : محمود محمد شاكر .

[43] – علم اللغة الاجتماعي 116

[44] – مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي ، حسن وجيه ، ص 201

[45] – انظر:اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، هادي نهر ، ص 18

[46] – انظر : دراسات في علم اللغة ، كمال بشر ، دار المعارف ، القاهرة ،ط1 ، 1973م، ص58.

[47] – الأسلوبية وتحليل الخطاب ، منذر عياشي ،مركز الإنماء الحضاري ، ط1 ، 2005م ، ص 7

[48] – السابق ،ص 141

[49] – المرجع نفسه ، ص 55.

[50] – الرسائل للجاحظ ، 106/1، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1964م

[51] – شرح الإمام النووي على صحيح مسلم 2/ 19_20

قائمة المصادر والمراجع

- أ، كوندرانوف ، الأصوات والإشارات ، ترجمة : إدوارد يوحنا ، بغداد، 1970م .
- ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد ، الصمت وآداب اللسان ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني ط1،دار الكتاب العربي ، بيروت 1410هـ
- ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق :إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر.
- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، معروف بتفسير ابن كثير ، ط2 ، تحقيق : سامي بن محمدالسلامة ، المدينة المنورة ، دار طيبة للنشر والتوزيع 1999م .
- ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، عمّان ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع
- ابن منظور ،محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين،لسان العرب ، مصر ، دار الشعب .
- ابن هشام ، عبد الله جمال الدين بن يوسف ، شرح شذور الذهب ، ط8 ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .
- أبو الطيب ، الوشاء محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى ، الموشّى _الظرف والظرفاء ،ط2، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي 1953م.
- أبو الطيب المتنبي ، أحمدُ بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، شرح ديوان المتنبي ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014م .
- أبو حيان ، محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، ط1 ، دراسة وتحقيق : عادل عبد الموجود وآخرين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1993م.
- البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن خلاد ، البحر الزخار ، المعروف بمسند البزار، تحقيق :محفوظ الرحمن زين الله وآخرين ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم .
- بشر ، كمال محمد ، دراسات في علم اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1973م.
- البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ،تاريخ بغداد وذيوله ،دراسة وتحقيق :مصطفى عبد القادر عطا ،ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت 1417هـ.
- جابر ، سامية ، علم اجتماع الاتصال ، الأسكندرية ، مصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2001م.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، البيان والتبين ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1948م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الرسائل ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1964م
- الجرجاني ، أبو أحمد عبد الله بن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق : مازن السرساوي ، الرياض ، مكتبة الرشد 2013م .
- الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، دلائل الإعجاز ، تحقيق:محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- حمداوي ، جميل ، سيميائيات التواصل اللفظي وغير اللفظي، الشبكة العنكبوتية : http://ar.aladabia.net/article-4777.
- سعيد ، أحمد بن راشد ، فن الكلام _مدخل إلى الاتصال العام ، دار جبل الشيخ 1998م.
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، حسن السمت في الصمت ، تحقيق ودراسة :أحمد محمد سليمان ، القاهرة ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع .
- شتا ، السيد علي ، علم الاجتماع اللغوي ، الإسكندرية، مصر ، مركز الإسكندرية للنشر ، 1998م.
- شمس، إبراهيم ، أخبار النساء ونوادرهن في كتاب الأغاني ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2005م .
- الشيباني ، أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ط2، تحقيق :شعيب الأرناؤوط وآخرين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1420هـ – 1999م.
- عبد العزيز ، محمد حسن ، علم اللغة الاجتماعي ، ط1 ، القاهرة مكتبة الآداب ، 2009م.
- عياشي ، منذر ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، مركز الإنماء الحضاري ، ط1 ، 2005م.
- نهر ، هادي ، اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، ط1 ، الأردن ، عمان ، 2011م.
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ط1، ترتيب : محمدفؤاد عبد الباقي ، القاهرة دار الحديث ، 1412هـ – 1991م .
- الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق : عبد الله الدرويش ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، 1992م.
- وجيه ، حسن محمد ، مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي ، الكويت ، عالم المعرفة ، 1994م.
- وهبة ، مجدي/ والمهندس، كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، بيروت ، مكتبة لبنان،1979
- يعقوب ، إميل ، معجم لآليء الشعر ، ط1 ، دار المؤلف للطباعة ،والنشر والتوزيع ، 1996م .

Interactive Functions of Silence

Kamal Saad Abu El-Maati

King Abdulaziz University

Abstract This research paper deals with the "interactive functions of silence". We call the studied section of silence the positive silence. This means that our standpoint is the broad concept of language which means every possible verbal or non-verbal way to communicate with others . Accordingly, the paper agrees with dividing the language of communication into two parts: verbal language, and non-verbal language .The paper studies the silence, and concentrates on the non-verbal language through introducing its lexical and technical meanings and the alternative terms for it. It also investigates the role of silence in the communication process and showing its interactive functions and asserting its use as a successful alternative in different situations where the verbal language does not fullfill accurately expressing the situation. In addition, the paper studies the different non-verbal signs such as visual signs, facial expressions, and bodily gestures. The paper depends on the linguistic evidence, a variety of social situations in our society and linguistic tradition. It compares between the treatment of our tradition and that of the contemporary western treatment. It concludes that silence in many situations is not the end of the communication, but a reason and motivation to pursue the communication process.